

الدعاية الألمانية-العثمانية والإجراءات الفرنسية في الجزائر

سنوات الحرب الأولى (1914-1918م)

German-Ottoman Propaganda and French Procedures in Algeria,
the First War Years (1914-1918).د. مولود قرين¹

جامعة الدكتور يحي فارس المدية، الجزائر

mouloudgrine@gmail.com

تاريخ الوصول 2020/12/05 القبول 2021/04/22 النشر على الخط 2021/10/30

Received 05/12/2020 Accepted 22/04/2021 Published online 30/10/2021

ملخص:

تحاول هذه الدراسة تسليط الضوء على الدعاية الألمانية/ العثمانية في الجزائر، وتوظيفها للإسلام وللجهاد بهدف استقطاب الجزائريين إلى صفها، والعمل على أحداث ثورة في الجزائر وفي المغرب ككل وذلك من أجل زعزعة ونحر قوى فرنسا، كما تبرز هذه الدراسة مختلف الإجراءات الفرنسية ومواقفها سواء السياسية أو العسكرية للتصدي للدعاية العثمانية الألمانية. وتتمحور إشكالية الموضوع حول مدى نجاعة الدعاية الألمانية العثمانية وصددها في الجزائر، وإلى أي مدى تمكنت إدارة الاحتلال في التصدي لها.

الكلمات المفتاحية: الدعاية الألمانية، الدعاية العثمانية، الحرب العالمية الأولى، السياسة الإسلامية الفرنسية، التجنيد الإجباري.

Abstract:

This study sheds light on the German / Ottoman propaganda in Algeria, its use of Islam and jihad with the aim of attracting Algerians to its ranks, and working to bring about a revolution in Algeria and Morocco as a whole in order to destabilize and degrade the French forces. This study also highlights the various French measures and their positions, whether political or military. To counter the German Ottoman propaganda. The issue of the issue revolves around the extent of the effectiveness of the Ottoman German propaganda and its resonance in Algeria, and the extent to which the occupation administration was able to confront it.

Keywords: German Propaganda, Ottoman Propaganda, World War I, French Islamic Politics, Conscription.

البريد الإلكتروني : mouloudgrine@gmail.com

¹ المؤلف المرسل: مولود قرين

1. مقدمة:

يبدو أن موضوع الدّعاية الألمانية العثمانية في الجزائر، وما صاحبه من ردود أفعال إدارة الاحتلال، في إطار ما أسمته بـ: "السياسة الإسلامية الفرنسية" موضوعاً بكرّاً، لم تتناوله الكتابات التاريخية الجزائرية - في حدود اطلاعنا - إلا عرضاً. ولعل من بين أهم الأعلام الجادة التي طرقت الموضوع دراسات الباحث التونسي، "التليلي العجيلي"، خاصة الدراسة المعنونة بـ: "السياسة الإسلامية لفرنسا في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى التي نشرت سنة 2018م"¹. إضافة إلى الدراسات التي أطرها في الجامعة التونسية مثل أطروحة خالد الفرجاني: "الدعاية الفرنسية في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى"²، وأطروحة مانع الأجنف: "مجنّدو المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى ضريبة الدم: التضحية والتمن 1914 - 1939م"³، حيث تضمنت هذه الدّراسات إشارات قيمة حول الدعاية الألمانية العثمانية في الجزائر ومدى تأثيرها على السياسة الفرنسية، غيره أنه، في اعتقادنا، أن الموضوع لا يزال بحاجة إلى إثراء أكثر، خصوصاً وأن الجزائر قد شكلت خلال الحرب العالمية الأولى ميداناً خصباً للدعاية والدعاية المضادة.

هذا ودراسة الأستاذ "التليلي" والدراسات التي أطرها، قد ركّزت خصوصاً على الدعاية العثمانية، دون أن تولي عناية بالدعاية الألمانية، التي نظّرت للدعاية التي مارستها الدولة العثمانية في العالم الإسلامي حسب ما ذهب إليه الباحث الألماني "سلفادور أوبرهاوس" Salvador Oberhaus من جامعة "هاينريش هاينه"، في رسالته للماجستير الموسومة بـ: "الدعاية الألمانية في الشرق خلال الحرب العالمية الأولى"⁴. وكانت أكثر حدة وتأثيراً، فمثلاً ما بين سبعة عشر منشوراً دعائياً وجدوا وانتشروا في الجزائر ما بين (1914-1916م) هناك ثلاثة منشورات فقط طبعت بإسطنبول، أما الأخرى فقد كانت تأتي من برلين أو المصالح الألمانية في سويسرا⁵. إننا بكل تأكيد لا ندعي معالجة الموضوع من كل جوانبه، لأن دراسة الموضوع بعمق يحتاج إلى إطلاع واسع على الوثائق الأرشيفية، ومعرفة تامة باللغة الألمانية، واللغة العثمانية، خاصة وأن دور الأرشيف الألمانية تحتوي على رصيد ضخم من المنشورات التي استخدمت لدعايتها في العالم الإسلامي خلال الحرب العالمية الأولى. لذلك دراستنا ستحاول أن تثير بعض القضايا في حدود ما

¹ - التليلي العجيلي، السياسة الإسلامية لفرنسا في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ط1، 2018م.

² - خالد الفرجاني، الدعاية الفرنسية في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2016م.

³ - مانع الأجنف، مجنّدو المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى ضريبة الدم: التضحية والتمن 1914 - 1939م"³، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منوبة، تونس 2017م.

⁴ - Salvador Oberhaus, Deutsche Propaganda im Orient während des Ersten Weltkrieges. Hausarbeit zur Erlangung des Grades Magister Artium der Philosophischen Fakultät, der Heinrich Heine-Universität Düsseldorf, 2002.

⁵ - Meynier Gilbert, L'Algérie Révélée-La guerre 1914-1918 et Le premier quart du xx^e siècle ; Librairie Droz, Genève, 1980, p.509.

اطَّلعنا عليه من دراسات ووثائق، سواء في دور الأرشيف الفرنسية أو الألمانية، ومحاولين فتح نافذة لبعض الإشكاليات التي لازلت مطروحة، علَّها تساهم في توجيه الباحثين والمؤرخين للعناية بالموضوع أكثر.

لقد راهنت كل من ألمانيا والدولة العثمانية في حربها خلال الحرب العالمية الأولى على الشعوب العربية والإسلامية، فوظفت الإسلام بالدرجة الأولى لكسب ودّها، وقامت بدعاية واسعة النطاق في العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً، لتعبئة شعوب المنطقة، وقد استهدفت مناطق نفوذ ومستعمرات دول "الوفاق الودي"، خاصة بريطانيا وفرنسا لتأليبها ضدها، وذلك لإدراكهما أن حركات التحرر في المستعمرات قادرة على تقويض أركان قوى دول الوفاق من الداخل. ومن المناطق الحيوية التي شملت الدعاية الألمانية العثمانية منطقة المغرب العربي عامة والجزائر خاصة، التي شهدت دعاية كبيرة استهدفت الوطنيين خاصة - سواء في الداخل أو المهجر - ومختلف طبقات الشعب عامة. غير أن إدارة الاحتلال كانت قد أدركت في وقت مبكر من الحرب خطورة الدعاية على مصالحها الحيوية، فحاولت بكل ما تملكه من قوة التصدي لها، مزاجية في ذلك ما بين الإجراءات الردعية، واجراءات الاستمالة والإغراء، التي أطلق عليها مصطلح: "السياسة الإسلامية الفرنسية"، ففيما تجسدت مظاهر الدعاية الألمانية العثمانية، وما هي الإجراءات الفرنسية للتصدي لها؟.

2. الدعاية الألمانية ومحاولة توظيف الإسلام وشعائره:

يعود اهتمام ألمانيا بالعالم الإسلامي إلى أواخر القرن 19م، إذ عملت جاهدة على أن يكون لها موطئ قدم في المنطقة، وزاد اهتمامها به أكثر لما بدأت بوادر الحرب العالمية تظهر في الأفق، وقد استعانت ألمانيا من أجل تحقيق أهدافها في العالم الإسلامي بمجموعة من المستشرقين الألمان على رأسهم "ماكس فون أوبنهايم" (Max Von Oppenheim)¹، الذي نبه إلى ضرورة توظيف الإسلام للتغلغل في العالم الإسلامي، واستخدام "الجامعة الإسلامية"²، والجهاد، وصِفَة السلطان العثماني كخليفة، من أجل استمالة الشعوب الإسلامية الخاضعة لبريطانيا وفرنسا وروسيا، وذلك بهدف إشعال انتفاضة كبرى تنهك هذه الدول وتشغل

¹ - ماكس فون أوبنهايم (1860-1940م): هو مستشرق ألماني من أصل يهودي قام برحلات استكشافية في الكثير من مناطق العالم الإسلامي، أقام في مصر ما بين سنتي (1896م - 1908م)، كتب 12 مجلداً تمحورت حول كيفية استغلال ألمانيا للإسلام والجامعة الإسلامية في صراعها ضد بريطانيا وفرنسا، للمزيد أنظر: - عبد الرؤوف سنو، الحركة العربية ودول الاستعمار ومصير الشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى: شكيب أرسلان نموذجاً، في: لبنان في الحرب العالمية الأولى، ج2، منشورات الجامعة اللبنانية، 2011م، 435.

² - الجامعة الإسلامية: هي تيار فكري وسياسي يدعو جميع المسلمين إلى الاتحاد والتكتل للتصدي للاستعمار الأوروبي الحديث، تزعمه كل من جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده. عرّفها الدكتور علي محافظة بأنها: "تيار ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي كرد فعل على الغزو الأوروبي وعجز الدول الإسلامية على مواجهته بعد تيقن المفكرين أن النضال المحلي لا يجدي". ولقد كان لدعوة الجامعة الإسلامية صدى كبير في الجزائر، وذلك من خلال دعوة رواد النهضة الجزائرية الأوائل إلى ضرورة اتحاد المسلمين حتى يتسنى لهم النهوض ومواجهة الأخطار الأجنبية المهددة بالعالم الإسلامي، للاطلاع على صدى الجامعة الإسلامية في الجزائر راجع: - أحمد دراوي، الجزائر والجامعة الإسلامية 1876-1924م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008.

قواتها في حال اندلاع الصراع بينها وبين ألمانيا¹، كما أن الانتفاضات في المستعمرات ستجعل كل من بريطانيا وفرنسا تسحب جزءا من جيشها من جبهات القتال².

ارتكز المخطط الألماني في المغرب العربي عامة والجزائر خاصة المستوحى من تقرير "أوبنهايم" على ثلاث محاور رئيسية، تتمثل في: دعم زعماء حركات المقاومة، ربط الاتصال بين زعماء المغرب العربي وحثها على تنسيق الجهود لإعلان الحرب في الوقت المناسب، والعمل على إذاعة مجموعة من الأخبار والشائعات وتوسيع تداولها في الأسواق والتجمعات السكانية لرفع معنويات رجال المقاومة³. لقد سببت سياسة "أوبنهايم" الداعمة لحركة الجامعة الإسلامية ارتباكاً لدى الدوائر الاستعمارية، مما جعلها تسخر كل إمكانياتها لمراقبة الدعاية الألمانية في مستعمراتها. فتشير التقارير الاستخباراتية الفرنسية إلى الدعاية الألمانية في الجزائر وصدائها، وتقرّ بأنها كانت قبل تاريخ اندلاع الحرب العالمية الأولى، وهذا حسب ما نشرته الكثير من الدراسات مثل دراسة الكاتب والمستشرق الفرنسي "ديبارمي" (Desparmet) الذي يرى أن محاولات ألمنة الجزائر كما وصفها (La germanisation de l'Algérie) كانت قد بدأت منذ الخمس عشر سنة الماضية، وذلك عن طريق الجواسيس الألمان الذين سعوا جاهدين من أجل استغلال العاطفة الدينية لدى مسلمي الجزائر وإثارتهم ضد فرنسا⁴. وأكد كاتب آخر وهو "أوغسطين برنارد" (Augustin Bernard) أن هؤلاء الجواسيس يسعون من أجل إظهار ألمانيا بمظهر حسن، ويعملون جاهدين من أجل توثيق صلاتهم مع الجزائريين⁵.

ويذكر "جون ميليا" (Jean Méliá) أن المخابرات الفرنسية قد تحصلت قبل اندلاع الحرب على تقرير سري صادر عن برلين مؤرخ في 19 مارس 1913م، يبين أن نظام ألمانيا التجسسي، كان كالشبكة يغطي كل أنحاء الجزائر، وذلك حتى يكون لألمانيا معلومات دقيقة تستخدم فيما بعد ضد فرنسا، وأوصي ذات التقرير على ضرورة إحداث اضطرابات في شمال إفريقيا، وكل ذلك يقتضي، حسب ما ورد في التقرير "على أن نكون على تواصل دائم مع شخصيات وهيئات مؤثرة وذات نفوذ مختارة بعناية، لاتخاذ الإجراءات اللازمة في حال اندلاع أوروبية"⁶. وحسب ما ذكره "ميليا" كذلك، فإن المشرف على شبكة الجوسسة الألمانية في الجزائر هو "ريتشارد هايكممان" (Richard Hecmann) الوكيل البحري لشركة (Norddeutcher Lloyd)، التي يقع

¹ - عبد الرؤوف ستو، "الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى"، في: بحوث تاريخية مهداة إلى منير إسماعيل، تنسيق محمد مخزوم، أحمد حطيط، بيروت، 2002م، ص 04.

² - ورنير آند، "الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي والصحفي في ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"، مجلة الأصالة، ع 52، السنة السادسة، الجزائر، ديسمبر 1977م، ص 50.

³ - قاسم الحادك، "الدعاية الألمانية في المغرب خلال الحرب العالمية الأولى وردّات الفعل المحلية"، في: مئة عام على الحرب العالمية الأولى، المجلد الثاني، مجتمعات البلدان العربية: الأحوال والتحوّلات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2018م، ص 143. وكذلك:

- Oberhaus, op-cit, p. 51.

⁴ - J. Desparmet, « Quelques échos de la propagande allemande a' Alger », Bulletin de la Société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, T : 10, Paris, 1915, p.48.

⁵ - ناصر بالحاج، "دور الدعاية العثمانية - الألمانية في رفض التجنيد الإجباري والدعاية الفرنسية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 03، جامعة غرداية، 2008م، ص 2.

⁶ - Jean Méliá, L'Algérie et La Guerre (1914-1918), ED4, Librairie Plon, Paris, 1918, p.07.

مكتبها في شارع الجمهورية بمدينة الجزائر، فكان رجلاً مشبوهاً، سجّل في دفتر المشبوهين منذ سنة 1893م، عرف برحلاته الكثيرة خصوصاً إلى ألمانيا والمغرب. وبما يؤكد أنه كان يعمل لصالح الدعاية الألمانية تجنّبه لمراكز البريد الفرنسية، حيث كان يسلم رسائله مباشرة إلى قباطنة السفن الألمانية الراسية في مدينة الجزائر، وفي بداية الحرب ترك "هايكمان" الجزائر وانتقل إلى "لندن" لمواصلة نشاطه كجاسوس لصالح ألمانيا، ولكن أُلقي عليه القبض وقُدّم للمحاكمة العسكرية بتهمة التجسس وتسليم أسلحة وذخائر للقبائل المغربية الثائرة¹. كما شهدت سنوات قبل الحرب ازدياد عدد السياح الألمان الذين أصبحوا يشكلون 60 بالمائة من مجموع السياح الذين يدخلون إلى الجزائر، وعادة ما يتنكرون في زي العرب، ويوزعون المنشير والصور الدعائية، حيث ضبّطت صور الإمبراطور الألماني في منازل العديد من مسلمي الجزائر². فكان السّواح الألمان بمثابة المبشرين بـ "ألمانيا الكبرى"، يصورون للسكان بأن الإمبراطور الألماني هو المهدي المنتظر الذي سيخلصهم من الاستعمار الفرنسي³. وكانوا في كثير من الأحيان يأتون على شكل علماء وأثريين ومستشرقين أو على شكل جغرافيين وإثنوغرافيين، ويسعون إلى إقامة علاقات مع جميع الجماعات الإسلامية، مثل المستشرق "فون أوبنهايم"، وعادة يسألون عن عدد السكان وكمية الأسلحة، وينشرون بين الناس الإشاعات كالادعاء بأن الإمبراطور الألماني دخل الإسلام لذلك تحالف مع السلطان العثماني. والقول، أنه "إذا كانت الجزائر ألمانية، فإن المسلمين لا يدفعون الضرائب، وستكون لهم الأراضي لقطعانهم"⁴.

احتكر الألمان قبيل الحرب حرفة الفندقية في الجزائر، وبذلك أصبحت الفنادق بؤراً لنشاط الجواسيس، ويقال أن أحدهم قد أنشأ مركزاً سرياً للاتصالات اللاسلكية في إحدى فنادق مدينة الجزائر⁵. وكانت خلية الجواسيس متمركزة في إسبانيا، تسير من طرف الملحق العسكري الألماني "الرّائد كالي" (le major Kalle) في "مدريد" (Madrid)، له أعوان ألمان وإسبانيون وأتراك⁶. كانت هذه الخلية وتشرف على شبكة التجسس المنتشرة في كل أقطار المغرب العربي، وتتواصل مع الأهالي في كل منطقة، خاصة مع الحركة السنوسية في ليبيا، وهذا ما لاحظته العديد من التقارير الفرنسية، التي قالت: أن هناك "ترابط معلوماتي بين إسبانيا والمنطقة المغربية الخاضعة للسيطرة الإسبانية وليبيا حيث الحركة السنوسية المتعاطفة مع العثمانيين عزز المخطط العثماني المضاد لفرنسا"⁷. فأغلب المطبوعات الدعائية كانت تطبع ببرشلونة، وكانت ترسل من هناك انطلاقاً من ميناء تلك المدينة، أو من موانئ إسبانية أخرى. وكشف تقرير فرنسي آخر مؤرخ في 10 أكتوبر 1915م "أن السلطات الفرنسية تمكنت من حجز حزمة من النشريات المكتوبة باللغة العربية، كانت تمثل نسخاً لكتيبات كانت قد نشرت بمدريد باللغة الإسبانية بعنوان: الوقائع الرسمية للحرب،

¹ - Mélia, op-cit, pp.8-9.

² - ibid, p.14.

³ - Perreau-Pradier Pierre, Besson Maurice, L'Afrique du Nord et la guerre, préf : M. Maginot, Librairie Félix Alcan, Paris 1918, pp. 102-103.

⁴ - Mélia, op-cit, p.11.

⁵ - Perreau-Pradier, Maurice, op-cit, p.103.

⁶ -Etat-major des armées, Service historique, Les armées françaises dans la Grande guerre. T : IX. 9,1, France, 1930-1939 ; p. 216.

⁷ - مانع الأجنف، المرجع السابق، ص 182.

ولغة النسخ العربية ركيكة كانت تهدف إلى نشر سلسلة من المعلومات الخاطئة، كما تم حجز عدد من جريدة (La Gasette) الجريدة الألمانية المكتوبة بالفرنسية التي كانت تسعى إلى نشر معلومات وإشاعات مغرضة بين أهالي المستعمرات¹. لقد أوضحت ألمانيا أن هدفها من خلال الدعاية، كان المساعدة على إحداث ثورة عامة في كامل شمال إفريقيا ضد فرنسا. ففي مذكرة نشرت سنة 1913م وضعت خطة تستطيع ألمانيا من خلالها خلق الصعوبات في المنطقة عن طريق الزعماء الدينيين والسياسيين²، والعمل على تحطيم المناطق الحوية والاستراتيجية فيها³، لذلك لا يستبعد أن تكون قبلة منائي عنابة وسكيكدة من طرف ألمانيا في 4 أوت 1914م يندرج في صلب هذه الاستراتيجية. كما تمكن الألمان من نسج علاقات متينة مع بعض الوطنيين الذين كان لنشاطهم بعداً مغارياً وحدوياً خاصة الأمير "عبد الملك الجزائري" (1868-1924م)⁴، ابن "الأمير عبد القادر"، الذي وصل إلى ناحية "تازة" في المغرب في أوت 1915م، على رأس قوات عالية التسليح وقام هذا الأخير بدور محوري في النشاط الدعائي الألماني، وكان المنسق الرئيسي بين الخبراء والضباط الألمان والزعامات المغاربية⁵. لذلك بعد أن أعلن ثورته وجّه عدة رسائل إلى الجزائر وتونس، ورسائل إلى مجموعة من الوطنيين المغاربة المقيمين في سويسرا وبرلين وهم: "علي باش حامية"⁶، والملازم الأول حاج عبد الله (رابع بوكابوية)⁷، الضابط الفار من الجيش الفرنسي، وسيد علي أموش وسيد محمد الشرقاوي والشيخ محمد العتايي ومحمد الكبير خان شريف سنبال⁸. كما راسل ابن أخيه "الأمير خالد" سنة 1916م وزوده بالمال والمناشير لإحداث ثورة في الجنوب الجزائري، تكون امتداداً لثورته في المغرب، غير أن ظروف "الأمير خالد" لم تسمح بذلك⁹. وما تجدر الإشارة إليه أن جزءاً كبيراً من الدعاية الألمانية قد تمحور في التواصل مع الوطنيين المغاربة بما فيهم الجزائريين بالمهجر، أمثال الشيخ "صالح

¹ - نفسه، ص 184.

² - أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م، ص 241.

³ - Oberhaus, op-cit, p. 56.

⁴ - عبد الملك الجزائري: هو عبد الملك بن عبد القادر، تعلم بالمشرق العربي، دخل الجيش العثماني برتبة عقيد، عين سنة 1906م قائداً للشرطة الشريفة في طنجة، انتهز فرصة الحرب العالمية الأولى فأعلن الجهاد ضد فرنسا بالتعاون مع الزعماء المغاربة كعبد الكريم الخطابي، وقد امتدت ثورته من 1915م إلى 1924م، للمزيد عن ثورته انظر: - سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص 224 وما بعدها.

⁵ - الحادك، المرجع السابق، ص 143.

⁶ - للمزيد نشاط "علي باش حامية" راجع: الهادي جلاب، علي باش حامية (1876-1918م)، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2005م.

⁷ - رابع بوكابوية: كان بوكابوية عبد القادر ملازماً في الجيش الفرنسي في كتيبة الرماة، وكانت كتيبته في مقدمة جبهات الحرب على الحدود الفرنسية الألمانية، فاستغل ذلك سنة 1915م وتخطى الخطوط الألمانية فارا من الجيش الفرنسي تاركاً رسالة إلى نقيبته يشرح له فيها أسباب فراره وهي "أن ضميره كمسلم يمنعه من الخدمة تحت راية أمة في حرب ضد سلطان القسطنطينية قائد الإسلام، انظر: محفوظ قداش، تاريخ الوطنية الجزائرية 1919-1939م، ج1، ترجمة محمد بن البار، دار الأمة، الجزائر، 2008م، ص 113.

⁸ - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954م، ط1، البصائر الجديدة، الجزائر، 2013، ص 77.

⁹ - سعد الله، "وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد الملك الجزائري بالمغرب"، المجلة التاريخية المغاربية، ع1، تونس، 1974م، ص 57.

الشريف¹ الذي حلّ بألمانيا أواخر ديسمبر 1914م، والذي كان منسقا بين الوطنيين المغاربة في برلين واسطنبول، و "محمد باش حامية" الذي انتقل إلى جنيف سنة 1916م، وأصبح "منسقا لجميع مجهودات الشخصيات السياسية المغربية في أوروبا، ونقطة التقاء أخبارهم"².

وقد كللت الدعاية الألمانية بين الوطنيين المغاربة خاصة في برلين وسويسرا بتأسيس "لجنة استقلال الجزائر وتونس" في برلين يوم 7 جانفي 1916م برئاسة "صالح شريف" و "إسماعيل الصفائح" و "محمد مزيان التلمساني"، وكانت تضم بعض الجزائريين وخاصة منهم المنحدرين من بني ميزاب³، وتمثلت مهمتها في تحرير المنشورات والكتيبات الدعائية بالعربية والألمانية والفرنسية، تعرض من خلالها المغاربة على تنسيق الجهود فيما بينهم وإعلان الثورة ضد الاستعمار الفرنسي⁴.

كانت الحكومة الألمانية وأجهزتها الاستعلامية تولي عناية كبيرة للمناشير والكتيبات الدعائية المكتوبة باللغة العربية الفصحى أو بالدارجة الجزائرية، وتنتقى لها عناوين مثيرة لعاطفة المسلمين الجزائريين، فبالاطلاع على المنشورات والخطب والمحاضرات التي بحوزتنا نلاحظ أن أغلبها ركزت على دغدغت عواطف المسلمين الدينية وبرزت مظالم المستعمرين وسياستهم المستبدة، ومن بين المنشورات التي انتشرت في المغرب العربي والجزائر، منشور بعنوان: "الأكاذيب الفرنسية". ففي مراسلة مؤرخة في جويلية 1916م، وجهها الحاكم العام بالجزائر إلى المحافظين في الجزائر، قسنطينة، وهران، يقول فيها: "بلغنا من قسم الشؤون الخارجية، أنه طبع منشور باللغة العربية ضد فرنسا، تحت عنوان الأكاذيب الفرنسية (Les mensonge française) ألفه موظف حكومي مغربي قديمي، يدعى عبد الكريم بن العربي بنيس" وهو حسب مراسلة الحاكم العام منشور خطير سيكون له تأثير كبير على المسلمين، مما جعل الصحافة الفرنسية في الجزائر تتصدى له وتفنده حسب قوله⁵. ومما كتب في هذا المنشور الذي جاء في سبعة صفحات، كشف الأكاذيب الفرنسية خاصة في الصحافة، وتفنيد ادعاءاتها المتعلقة بانتصاراتها في الحرب، فيقول: "لا يخفى أن الفرانصويين صاروا أهل السيادة في صناعة الكذب وتضليل الأمم، ومن عاداتهم المألوفة أن يكذبوا الأخبار الصحيحة التي تخالف مذاهبهم الخصوصية"⁶.

¹ - صالح الشريف: ينحدر من أصول جزائرية هاجرت عائلته بعد احتلال الجزائر، ولد في تونس سنة 1862م، درس في جامع الزيتونة، ثم أصبح مدرسا فيه، هاجر إلى الأستانة سنة 1906م، وكان من أشد المدافعين على فكرة الجامعة الإسلامية، كلفه السلطان بعدة مهام، وبعد اندلاع الحرب العالمية الأولى هاجر إلى ألمانيا لينشر الدعاية الألمانية العثمانية بين الأسرى، للمزيد انظر:

- Pierre Bardin , Algériens et Tunisiens dans L'empire Ottoman de 1848-1914, éd : CNRS, Paris , 1979, pp.190-191.

² - بلقاسم، المرجع السابق، ص 73.

³ - من بين المزابيين الأعضاء في اللجنة "بالزمايل بجا أحمد" عضو في المجلس البلدي وتاجر في قالمة، "باعلي علي" تاجر في قالمة كذلك، انظر:

- Notes et Rapports sur relations entre Les Nationalistes Algériens et Tunisiens 1920- 1923 , In : A.N.T, op-cit.

⁴ - للمزيد حول نشاط اللجنة: راجع نفسه، ص ص 80-81.

⁵ - Au sujet d'une Brochure en arabe de propagande anti-française, A. N. O. M, 9 H/ 5.

⁶ - عبد الكريم بن العربي بنيس، الأكاذيب الفرنسية، في: A. N. O. M, 9 H/ 5.

وفي نفس الإطار وجد كذلك منشور آخر تحت عنوان: "احتقار الدين الإسلامي في الصفوف الفرنسية"، ذكر فيه صاحبه أن الجميع يقرأ في الصحافة الفرنسية عن المرتبات المغرية التي تدفع لأهالي الجنود المتوفين في جبهات القتال، غير أن ذلك في نظره مجرد ذر الرماد في العيون فقط، وذلك "حتى يقتنع المسلمون بأن فرنسا تعاملهم باحترام وعدل، ولكن يجب علينا أن نبين ما شهدناه في هذه الحرب لأنه مخالف لما يشيعونه في جرائدهم، رأينا ولنا حجاج دامغة في ذلك أن العساكر الإسلامية عموماً، واللذين يموتون بشرف في ساحات القتال منهم محرومين ممن يلقنهم الشهادة ومن احترام عواطفهم من طرف رؤسائهم الفرنسيين الذين كان يجب عليهم مراعاتها عندما يرون أن هذه العساكر ماتوا لأجل فرنسا"¹. يطرح صاحب المنشور مجموعة من التساؤلات ويوجب عليها لبيين عدم اكتراث الفرنسيين للديانة الإسلامية، وعوائد المسلمين وعقيدتهم، فيقول: "... هل يوجد على طول جبهة الحرب ممن يلقن العساكر المذكورة أمور دينهم من مفتي أو إمام أو طالب علم، الجواب لا؟"². عكس الديانات الأخرى فالمسيحيون لهم رهبانهم، واليهود لهم "ربانهم"، فهؤلاء يتولون مهمة الصلاة مع بني جلدتهم، ويقومون على مقابر موتاهم كبناء القبور وإصلاحها. ولكن "كيف يدفن العساكر الإسلامية الذين يموتون في ساحة الحرب؟ الجواب: أن كثيراً من العساكر الإسلامية يدفنون بلباسهم وبغير غسل ولا إجراء للعوائد الشرعية في خنادق كبيرة بعضهم على بعض، ولأجل دفنهم يعين لهم من بين رفقاتهم من يحملونهم على ما يصادفونه من الأشياء، حت يتخيل الناظر، أنه أمام جنازة جانٍ محكوم عليه بالإعدام لا أمام جنازة جندي أدى وظيفته ومات أثناء أداها"³.

وفي منشور آخر كان بمثابة نداء لمسلمي الجزائر وتونس ومراكش يدعوهم إلى عدم الامتثال لأوامر التجنيد سواء التجنيد الإجباري أو الاختياري، وذلك "أن هذا العسكر سيقدمه عدو الله وعدوكم وعدو وطنكم الفرنسيين إلى نيران الألمان التي لا تحصى ولا تطاق، ويريقون دمهم في الصفوف الأولى ويحافظون على ولاء الفرنسيين... يقدمون المسلمين إلى الصف الأول، ويلزمونهم بالثبات حتى يفنوا كلهم المساكين إلا القليل"⁴. ويذكر المنشور بأن ولاء المسلم للكافر لا تجوز شرعاً، خاصة إذا ولاه في محاربة أخيه المسلم، المسلم، فجاء فيه: "... يا إخواننا إن هؤلاء العسكر المسلمين سيحاربون بهم إخوانكم المسلمين وإخوانكم الألمان المخالفين للمسلمين والمتحدين معهم في الجهاد في سبيل الله، ولا شك يا مسلمين ستكونون في صف الكفر وصف الشيطان ضد صف الإيمان وصف الرحمن فالملت منكم قطعاً مؤبد في النار، والحي منكم ملعون على ألسنة الإسلام إلى الأبد..."⁵.

شملت الدعاية الألمانية مركز المجندين الجزائريين والمغاربة في صفوف الجيش الفرنسي، موظفة في ذلك الوازع الديني لإقناعهم بالفرار والانضمام للجهاد الذي تقوده الدولة العثمانية وألمانيا، فكثيراً ما كان يخرج الجنود الألمان من خنادقهم رافعين رايات بيضاء وهم ينادون باسم الرسول صلى الله عليه وسلم، كما كانوا يحملون صوراً للسلطان العثماني بين الصفوف الأمر الذي كان يؤدي في

¹ - احتقار الدين الإسلامي في الصفوف الفرنسية، في: A. N. O. M, 9 H/ 5.

² - نفسه.

³ - نفسه.

⁴ - انظر نص المنشور في: A. N. O. M, 9 H/ 5.

⁵ - نفسه.

بعض الأحيان إلى التملل أوساط المجندين المسلمين وفرارهم من الجيش الفرنسي¹. ولعل أشهر الضباط الجزائريين المجندين في الجيش الفرنسي الذي تأثر بهذه الدعاية وفرّ من الجيش الفرنسي ليلتحق بألمانيا هو الملازم "رابح بوكابوية" (الحاج عبد الله) كما سمى نفسه، فبعد فراره من الجيش الفرنسي وضعته في الأسر، ليصبح فيما بعد من أهم العناصر المسلمة المروجة للدعاية الألمانية، من خلال كتابه "الإسلام في الجيش الفرنسي" *L'Islam dans l'armée Française* تطرق فيه إلى التضحيات الجسام التي قدمها المغاربة المسلمون في الجيش الفرنسي، غير أنهم في المقابل يتعرضون لمعاملة سيئة، وشعائرهم الدينية لا تحترم من طرف الفرنسيين، عكس ألمانيا، حسب رأيه، التي استقبلت الأسرى واهتمت بهم ووفرت لهم كل ظروف العيش الكريم. واعتبر في كتابه أن ألمانيا هي صديقة للمسلمين². والجدير بالذكر هنا أن الدعاية الألمانية استهدفت بشكل كبير الأسرى المسلمين المجندين في جيش القوى الأجنبية، وذلك عملاً بتوصيات "أوبنهايم" الذي درس في إحدى مذكراته الصادرة سنة 1914م إمكانية استخدام أسرى الحرب المسلمين في ألمانيا، وتوظيفهم فيما بعد كمحاربين في بلدانهم أو دمجهم في الجيش التركي، لذلك أوصى بمعاملة مناسبة وتمييز للمسلمين في مراكز الأسر، بناء على المتطلبات الدينية والحساسيات الوطنية³. فأنشأت لهم معسكرات خاصة مثل "معسكر الهلال" الذي أسس سنة 1915م، والراجح أن ذلك الاسم لم يكن اعتباطياً، نظراً لما تمثله رمزية الهلال في وجدان المسلمين. لقد وصل عدد الأسرى فيه إلى 3046 أسير، معظمهم من الجزائريين وتونس، وفي إطار المعاملة الخاصة التي عنو بها، بُني لهم حُمام على الطراز الشرقي، ومساكن من خشب، وكانوا يخضعون دورياً لفحوصات طبية، وأمدّوهم بثلاثة آلاف مصحف ليمكّنوا من تلاوة القرآن، وراعوا أكلهم الحلال، وبلغت العناية بهم إلى درجة أن بنوا لهم مسجداً للصلاة أقيمت فيه أول صلاة في أول رمضان 1334هـ (13 جويلية 1915م) في حفل بهيج حضره نواب عن الحكومتين الألمانية والعثمانية. وأنشأوا لهم جريدة أطلق عليها جريدة "الجهاد"⁴ باللغة العربية، التي فتحت صفحاتها للأسرى حتى يكتبوا معاناتهم ضمن جيوش الأعداء⁵، وبذلك يصبحون أنفسهم يرجون لسياسة ألمانيا بين بني جلدتهم من المسلمين. وإلى جانب جريدة الجهاد أصدرت مجلة باللغة العربية "عالم

¹ - مانع الأجنف، المرجع السابق، ص 154. وينظر كذلك:

- Gilbert Meynier , L' Algérie Rêvée - La guerre 1914-1918 et Le premier quart du xx^e siècle -, Librairie Droz, Genève, 1980.p.452.

² - للتوسع أكثر في ما تضمنه كتابه الذي جاء في 64 صفحة راجع:

-Lieutenant El Hadj Abdallah, L'Islam dans l'armée Française (Guerre 1914-1915), Constantinople, 1915.

³ - Oberhaus, op-cit, p. 62.

⁴ - جريدة الجهاد: هي جريدة نصف شهرية تظهر كل يوم جمعة، استمرت في الصدور طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى، ظهر عددها الأول يوم 5 مارس 1915م، وعددها الأخير يوم 11 أكتوبر 1918م بعد أن صدر منها 83 عدداً. ولم تصدر في شهر سبتمبر من سنة 1915م. وقد كتب في كل أعدادها تحت العنوان الكبير "الجهاد" (El Dshihad) عبارة: "جريدة أسبوعية تخدم المسلمين الذين قاتلوا مع أعدائهم جبراً ضد محبيهم الألمان". وكشفت في عددها الأول عن مقاصدها، والمتمثل، حسبها، في تنوير أفكار الأسرى وإطلاعهم على أخبار الحرب، وذلك لأن الأعداء حاصروا ألمانيا إعلامياً، وحاولوا تغليب الرأي العام بمعلومات مغلوطة عن أسباب ومجريات الحرب، انظر: الجهاد، ع1، 5 مارس 1915م.

⁵ - علاء الدين يحيى، " الأسرى المسلمون في ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى ذلك التاريخ المجهول"، في: مئة عام على الحرب العالمية الأولى، المجلد الثاني، ص ص 183 - 184.

الإسلام"، ومجلة "العدل"، ودورية "دار الإسلام" وجريدة "الواجب" (Le Devoir) باللغة الفرنسية، كانت موجهة على ما يبدو للمثقفين المسلمين الذين يقرأون إلا بالفرنسية، وكانت تروج بأن ألمانيا صديقة الإسلام والمسلمين عكس فرنسا وبريطانيا الاستعماريين¹.

3. الدعاية العثمانية وفتوى الجهاد المقدس:

مما لا شك فيه أن أفئدة الجزائريين ضلت متعلقة بالدولة العثمانية خاصة في مطلع القرن 20م لما تبنت الدولة "الجامعة الإسلامية" رسمياً في عهد السلطان "عبد الحميد الثاني" (1876-1909م) فكرة "الجامعة الإسلامية"، التي دعا إليها "جمال الدين لأفغاني" وتلميذه "محمد عبده". فكان السلطان "عبد الحميد الثاني" بالنسبة للجزائريين "كرجل الساعة". فحسب ما ذكره "مصالي الحاج" في مذكراته، أنّ في طفولته مطلع القرن العشرين، كان يسمع الناس يتحدثون عن "سلطان تركيا والمغرب" الذي يبدو أنه السلطان "عبد الحميد" "... تركيا سلطانها هو الذي كان أمير المؤمنين أي هو الذي كان بيده مصير المغرب العربي، كان آباؤنا يعتقدون أن نهضة الإمبراطورية العثمانية سيؤدي حتماً إلى تحرير المغرب العربي"². لقد زاد تعلق الجزائريين بالدولة العثمانية بعد إعلانها دخول الحرب إلى جانب ألمانيا ضد دول الاستعمار التقليدي، وما رافق ذلك من دعاية ركزت على العاطفة الدينية على وجه التحديد، والمتمثلة أساساً في الدعوة إلى الجهاد. ففي 07 نوفمبر 1914م صدرت فتوى الجهاد، لتليها يوم 14 نوفمبر "الفتوى الشريفة" التي حرّرها شيخ الإسلام "خير بن عون الأركوبي"، والتي اعتبرت أن مهاجمة الأعداء للديار الإسلامية يفرض على المسلمين جميعاً الجهاد. وفي 22 نوفمبر، نشر بيان الجهاد حاملاً لتوقيع السلطان، ألح فيه على أن "كافة المسلمين الذين تتراوح أعمارهم ما بين 20 و45 سنة يتوجب عليهم حمل السلاح"³.

نشرت الفتوى في الصحف العثمانية، وروجت لها وكالة "فولف" الألمانية، وطلب من الخطباء والأئمة الترويج لها. كما حرّر نداء موجه إلى كل المسلمين الخاضعين لكل من بريطانيا وفرنسا، أمضي عليه من طرف "جمعية العلماء المسلمين"، ومن الموقعين على البيان من الجزائر "عمر الورغي". لقد تضمن البيان خطاباً شديداً للهجة، موجه للجنود المسلمين الجند في جيوش الأعداء، ليذكّرهم بأن قتالهم "في سبيل أعداء الله ذنب حقيقي يجلب لهم غضب الله ونقمته الأبدية ... حيث أن من يموت أثناء قتاله في سبيلهم كمن يقتل نفسه فحقت عليه النار الأبدية"⁴. يبدو أن نص الفتوى، والدعوة إلى الجهاد قد وصل إلى مسامع الجزائريين، عن طريق راوفاً عديدة من بينها المنشورات والكتيبات التي تسربت إلى الجزائر من طرابلس الغرب (ليبيا) وتونس تنادي الجزائريين بالجهاد ضد فرنسا. كما جرت اتصالات مع ملك المغرب الأقصى المخلوع "مولاي عبد الحفيظ" الذي كان متواجداً في إسبانيا،

¹ - Meynier, op-cit, pp. 508-509.

² - مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج 1889-1938م، ترجمة محمد المعراجي، ANEP، الجزائر 2007م، ص 17.

³ - التليلي، السياسة الإسلامية...، ص 177 - 178.

⁴ - نفسه، ص 191.

ومع بعض الوطنيين في تونس والجزائر من أجل تنسيق الجهود وإعلان الثورة في كامل شمال إفريقيا. وللغرض نفسه عين السلطان العثماني "سليمان الباروني"، كمبعوث له في ليبيا مع تعليمات خاصة بتشجيع الثورات في إفريقيا الشمالية¹. ولعلّ من أهم روافد انتقال فتوى الجهاد إلى الجزائر، هم طلبة المهجر خصوصاً طلبة جامع "الزيتونة" في تونس، إذ ترصد لنا تقارير الشرطة الفرنسية تحرك الكثير من الطلبة وتنقلاتهم بين الجزائر وتونس سنة 1914م، وعلاقتهم الوطيدة مع الشباب التونسي خاصة المنتمين لحركة الجامعة الإسلامية. ففي تقرير مؤرخ في 25 ماي 1914م لاحظت الحكومة العامة في الجزائر حركة هجرة لافتة للنظر قام بها مجموعة من الشبان الجزائريين، وهم حسب ذات التقرير "عملاء حقيقيين لعبد العزيز جاويش، أحد المروجين لفكرة الجامعة الإسلامية"². ومن أنشط هؤلاء المدعو "علي العمراوي" الذي تربطه علاقة وطيدة بعبد العزيز جاويش، وكذلك المدعو "بوحفص عبد الله بن الحاج علي"، الذي وصفه التقرير بأنه ذهب إلى تونس للقيام بالدعاية التركية، ويضيف التقرير أن هذا الأخير قد درس في جامع الزيتونة، وينحدر من أسرة معروفة في قالمه، إذ كان أبوه قاضياً في واد زواقي.³ كما سجل تقرير آخر مؤرخ في 03 نوفمبر 1917م "استياء كبير" grand mécontentement عند قطاع عريض من المسلمين الجزائريين المقيمين في تونس، خصوصاً الناقمين على الحكم الفرنسي، الذين كانت تربطهم علاقة مع الشباب التونسي⁴. فهؤلاء المهاجرين دون شك كانوا في تواصل مستمر مع أهلهم في الجزائر يطلعونهم عن أخبار الجهاد العثماني.

وما تجدر الإشارة إليه هو أن الدولة العثمانية قد اعتمدت في ترويج دعايتها في المغرب العربي عامة وشمال إفريقيا خاصة، على الأسر المهاجرة إلى المشرق، خاصة أسرة "الأمير عبد القادر" المقيمة في الشام وذلك لما تتمتع به العائلة من نفوذ بين الجزائريين، سواء المقيمين في أرض الجزائر، أو المهاجرين إلى الشام. لذلك وجه الباب العالي تعليمات صارمة لواليه بدمشق يخبره قائلاً: "...يجب عليكم أن تعملوا بسرعة، وتبذلوا كل ما في وسعكم لفصل عائلة الأمير عن فرنسا نهائياً، عِدوها بالرتب العسكرية السامية وبالعطاء الجزيل، فإذا ما توصلتم إلى ذلك فسوف تتمكن من جلب كل الجزائريين إلى صفوفنا..."⁵. وكإجراء عملي بادرت الدولة العثمانية إلى ترقية "الأمير علي" من نائب على دمشق إلى نائب رئيس المجلس الوطني العثماني⁶. ومن نتائج اهتمامها اهتمامها بعائلة الأمير إعلان الأمير "عبد الملك بن محي الدين" الجهاد ضد فرنسا سنة 1915م انطلاقاً من المغرب الأقصى كما أشرنا سابقاً. فكل هذه الروافد ساهمت في انتقال دعوة الجهاد العثماني إلى أوساط الجزائريين، الذين كانوا يرتادون المقاهي العربية في شتى أنحاء البلاد، و يتبادلون أيام الجمعة بعد الصلاة الرسائل التي ترد إليهم من أقربائهم وأصدقائهم المغتربين في المشرق، والتي تنقل لهم دون شك الدعوة إلى الجهاد المقدس⁷.

¹ - سعد الله، المرجع السابق، ص 245.

² - A. N. T, Série E, carton 550, Dossier 30/15- 1914.

³ - Ibid.

⁴ - Ibid.

⁵ - التليبي، المرجع السابق، ص 196.

⁶ - نفسه.

⁷ - أجرون، المرجع السابق، ص 425.

4. صدى الدعاية الألمانية - العثمانية في الجزائر:

يذكر الأستاذ "سعد الله" أن تأثير الدعاية الألمانية العثمانية كان تأثيراً محدوداً، وأنه أعطي أكثر من حجمه من طرف الإدارة الاستعمارية، لأنها لم تنجح، حسب، في خلق ثورة جزائرية لصالح الجامعة الإسلامية، ويضيف قائلاً: "...حتى حرب العصابات والثورات المسلحة التي حدثت في تلك الفترة حدثت تحت الراية الوطنية وليس تحت راية الجامعة الإسلامية...".¹ أما "شارل روبير أجرون" فيفسر عدم حدوث ثورة كبيرة في الجزائر سنوات الحرب العالمية الأولى، كون أن "المجموعة المسلمة في الجزائر كانت في عام 1914م واعية بقوة فرنسا العسكرية، التي تمكنت من احتلال المغرب الأقصى تدريجياً، ولم تعرف ألمانيا كيف تنقذ سلطان المغرب، أو تمنع الحكومة العثمانية من الرضوخ بتسليم ليبيا للإيطاليين. ولم تصبح للجزائريين المسلمين أي ثقة في قوة تركيا، ولم يكونوا مقتنعين بأن ألمانيا يمكن أن تمدّهم يد المساعدة".² غير أن حوادث سنوات الحرب في الجزائر تجعلنا نقر بأنها لم تكن حوادثاً معزولة، خاصة الانتفاضات التي حدثت في "بني شقران" في معسكر سنة 1914م، وثورة الأوراس 1916م³، فلو كان التجنيد هو السبب الرئيس في اندلاع الانتفاضتين، لكان ذلك قبل هذا التاريخ، لأن بدأ التجنيد فعلياً سنة 1912م. لذلك حري بنا أن نتساءل، لماذا كانت في سنوات الحرب بالذات، خاصة وأن أدبيات تلك الفترة والجو العام السائد يوحي كله برغبة الجزائريين في الانتقام واشعال فتيل الثورة، فمثلاً سكان الأوراس كانوا قد أعلنوا في ديسمبر 1914 أنهم ينتظرون الفرصة المناسبة لاستعادة أراضيهم بمساعدة الألمان⁴. فالمطلع على أدبيات تلك الفترة يلاحظ حضور ألمانيا في الشعر الشعبي الجزائري، وتعليق صور قيصر ألمانيا "غيوم الثاني" (1888-1918م) Guillaume II باعتباره منقذاً للجزائريين من الاحتلال الفرنسي، ومن المقاطع الشعرية التي كانت متداولة بين الجزائريين يتغنون بها خاصة في التجمعات والأسواق ما نشره المستشرق الفرنسي "ديارمي" في المجلة الإفريقية:

يا الفرنسيين واش في بالك *** الجزائر ماشي ديالك

ايحي للمان يديهالك *** لا بد ترجع كيف الزمان

أيا ياي كي نعمله *** الحاج قيوم يطلع سعده⁵.

ومن الأغاني والأشعار التي تغنت ببطولات القيصر الألماني، وتضرعت للمولى أن ينصره ضد أعدائه، نجد:

يا حي يا قيوم *** الله ينصر الملك قليوم

¹ - سعد الله، الحركة الوطنية، ج 2، ص 244.

² - أجرون، المرجع السابق، ص 420.

³ - انتفاضة "بني شقران" بدأت البوادر الأولى لانتفاضة خلال العشرية الأخيرة من شهر سبتمبر 1914م، وتطورت في الشهر الموالي لتشمل أغلب القرى، ومن أسبابها المباشرة رفض التجنيد الإجباري. أما ثورة الأوراس فكانت في نوفمبر 1916م وكذلك من أسبابها المباشرة رفض إقحام الشباب الجزائري في حرب لا تعنيهم، للمزيد عن الثورتين راجع: - يحي بوعزيز، ثورات القرن العشرين، طبعة خاصة، دار البصائر، 2009، ص 35 وما بعدها.

⁴ - أجرون، المرجع السابق، ص 412.

⁵ - J. Desparment, « Les chansons d'Alger pendant la Grand Guerre », In : R. A, N 73, Algérie, 1932, p. 75.

يا ربي يا ذا الملك *** الله يخذل جيش الموسكو
نتوسل ليك بالخواص *** الله يذل جيوش لافرونص
يا جبار يا عزيز *** أخلي الملك من جنس لانقليز
أمين أمين أمين *** أمين يا رب العالمين¹.

كما ظهرت أغاني أخرى، يعبر فيها المسلمون عن تدميرهم من التجنيد في صفوف قوات الاحتلال، ومن الأغاني الخالدة إلى اليوم، تلك الأغنية التي تقول: " يا ربي سيدي واش اعملت أنا ووليدي ريتو بيدي وداتو الدولة الرّومية"². ويشير "أجرون" إلى أن إدارة الاحتلال الفرنسي قد ضبّطت عند أحد القضاة المسلمين مجموعة من المراسلات المعادية لفرنسا، منها ما كتبه في نوفمبر 1914م: "أتمنى حدوث ثورة كبرى، ونسميها الثورة الجزائرية"، كما أنه كتب سنة 1916م لشخصية إيطالية مراسلة جاء فيها: "يحيا المسلم، تحيا إفريقيا الشمالية من أغلال العبودية"³.

5. مواقف إدارة الاحتلال من الدعاية الألمانية - العثمانية:

رغم اقتصر صدى الدعاية الألمانية العثمانية في الجزائر إلا على بعض الأغاني والأشعار، وظهور بعض من التملل في أوساط الجزائريين أدى في بعض الأحيان، إلى بعض الثورات والانتفاضات المحدودة، وفرار بعض المجندين الجزائريين من الجيش الفرنسي مثل "رابح بوكابوية" كما أشرنا آنفاً، إلا أن ذلك لم يمنع إدارة الاحتلال من تسخير كل إمكانياتها للحد من صدى هذه الدعاية ومنع تأثيرها، وذلك إما بتطبيق سياسة قمعية صارمة، أو ممارسة دعاية مضادة في إطار ما سمته بالسياسة الإسلامية.

1.5. الرقابة الصارمة والإجراءات القمعية:

بمجرد أن اشتعل فتيل الحرب بادرت فرنسا إلى إعلان حالة الطوارئ بفرنسا، وكل المحافظات الجزائرية، بداية من 2 أوت 1914م، كما أنها نقلت جميع الصلاحيات للقوات العسكرية. وسخرت كل إمكانياتها لمراقبة كل المنشورات والرسائل المتبادلة بين الجزائريين أنفسهم، أو بينهم وبين غيرهم، ففي 17 أوت 1914م أصدر الوالي العام في الجزائر مجموعة من التعليمات، تنص على منع دخول وتداول مختلف المنشورات العربية والأجنبية في البلاد، وتكليف مصالح البريد والجمارك بالمبادرة إلى حجزها. ومن أهم ما جاء في تعليمات الوالي العام حجز جميع الجرائد التركية، خاصة جريدة "الشباب التركي"، التي كانت، حسب، "ترسل إلى العديد من الجزائريين، وتنشر معلومات مغرضة، وأنباء كاذبة استقتها من وكالة فولف Wolff الألمانية، الأمر الذي يجعل من تداولها غاية في الخطورة"⁴. وقد نصت تعليمات الولاية العامة كذلك على مراقبة الجرائد التي تصدر في الجزائر، وأن يقدم المقال قبل النشر للإدارة حتى ينظر فيه، وعدم الامتثال لتلك التعليمات تكلف صاحبها غالباً، مثل ما حدث مع الصحفي "عمر بن قدور الجزائري"

¹ - Ibid, p. 83.

² - أجرون، المرجع السابق، ص 425.

³ - أجرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ترجمة: م. حاج مسعود، ع. بلعربي، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 845.

⁴ - التليلي، السياسة الإسلامية...، ص 296.

(1886-1932م)¹، الذي ناصر الدولة العثمانية، وأبدى إعجابه بالعمليات الحربية التي كان يخوضها الجيش العثماني أثناء الحرب العالمية الأولى، ففي الأعداد الأخيرة من السلسلة الأولى من "الفارق" كان "بن قدور" قد نشر مقالاً متسلسلاً بعنوان: "حديث الحوادث"²، ومن خلاله انتقد الحرب وبين ما ستجره على البشرية جمعاء، وكذلك أبدى إعجابه ببعض الانتصارات التي كان يحققها الأتراك. فهذا كان كاف لتعطيل جريدة "الفارق" ونفي صاحبها إلى الأغواط سنة 1915م مشياً على الأقدام³.

إن قرار النفي أو السجن لم يقتصر على "عمر بن قدور" فقط، بل أن إدارة الاحتلال لم تتوانى عن تكميم كل أفواه الوطنيين إما سجناً أو نفيًا، مثل ما حدث مع زميله "عمر راسم" (1883-1959م)⁴، الذي اتهمته إدارة الاحتلال بالتواصل مع العدو، فقد ضبطت إدارة البريد الإنجليزي رسالة موجهة من الجزائر إلى مصر، جاء فيها: "...يجب على المسلمين أن يقتدوا بخليفتهم، ولا يعينوا أعداءهم"، فوجهت الإدارة الاستعمارية التهمة فوراً إلى عمر راسم بحجة أن الخط الذي كتب به الرسالة هو خطه، وأصدرت ضده حكماً يقضي بالسجن مع الأعمال الشاقة⁵.

وما يمكن ملاحظته في سنة 1914م كثرت وفيات أقطاب الإصلاح الذين كان لهم نفوذ كبير بين الجزائريين، فوفاتهم عشية اندلاع الحرب أو قبلها بقليل يثير الكثير من التساؤلات، فتوفي الشيخ "عبد القادر المجاوي" (1848-1914م)⁶ في أبريل

¹ - عمر بن قدور الجزائري (1886-1932م) : ولد في الأرياء ضواحي العاصمة، تتلمذ على يد كبار المصلحين الجزائريين وتأثر بهم مثل المجاوي وبن سماية وبن زكري، هاجر إلى مصر وإلى تونس وتأثر بنخبة القطر، امتحن مهنة الصحافة في سن مبكرة حتى لقب برائد الصحافة في الجزائر، كتب في الكثير من الدوريات المشرقية والمغربية، وفي الجزائر أنشأ جريدة الفارق 1913م دعا من خلالها للإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي، وكذلك جريدة الصديق سنة 1920م، وإلى جانب اهتمامه بقضايا وطنه اهتم بقضايا العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً، للمزيد عنه راجع: - مولود قرين، عمر بن قدور الجزائري ودوره في الحركة الوطنية، ج1، مطبعة الخليل العلمية، الجزائر، 2013م.

² - انظر: جريدة الفارق، من ع 77، 11 سبتمبر 1914م إلى ع 92، 25 ديسمبر 1914م.

³ - وصفت تقارير الإدارة الفرنسية أن "عمر بن قدور الجزائري" كان من الداعين إلى الجامعة الإسلامية في الجزائر منذ وقت مبكر، ومن المولدين للدولة العثمانية، انظر:

- Associations Cultuelles musulmanes; in: A.N.A; IBA/CUL-018; N° 0881.

⁴ - عمر راسم: عمر راسم: عمر راسم (1884-1959م): هو مصلح وصحفي ورسام جزائري، شارك بقلمه في عدة صحف عربية خاصة في الصحف التونسية، أصدر في الجزائر عدة صحف أهمها: "الإصلاح" و"الجزائر" سنة 1909م، و"ذو الفقار" سنة 1913م، وخلال الحرب العالمية الأولى حكم عليه بالسجن والأعمال الشاقة، وبعد خروجه من السجن اعتزل السياسة وأنشأ مدرسة لتعليم فن الرسم والزخرفة العربية، للمزيد انظر: - ناصر، عمر راسم المصلح الفائر، دط، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1984م، ص ص 13-17.

⁵ - رغداء زيدان، "الثائر على العصر وأهله عمر راسم"، في أعمال الملتقى الوطني الأول عمر راسم الفنان والخطاط المنزخرف والمصلح الثائر، قصر الثقافة، الجزائر، 14-15 فيفري 2009م، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط الجزائر إلى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر 2، 2009، ص ص 33-34.

⁶ - عبد القادر المجاوي: ولد في تلمسان في أسرة اشتهرت بالعلم والأدب، درس "بطنجة" في بلاد المغرب الأقصى ثم "تطوان" ثم في جامع "القرويين"، عاد إلى الجزائر عام 1876م، عين مدرسا في جامع "سيدي الكتاني" بقسنطينة، ثم استأذنا مدرستها الحكومية، وبعدها انتقل إلى العاصمة حيث عين أستاذا "بالمدرسة الرسمية" وفي نفس الوقت كان إماما واعظا في مسجد "سيدي رمضان" له عدة مؤلفات أهمها: "اللمع في إنكار البدع" و"ارشاد المتعلمين في مبادئ العلوم" و"شرح الجمل النحوية"... الخ، للمزيد انظر: - محمد علي دبوز، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج1، ط2، م.ش.ج، الجزائر 2007م، ص 104 وما بعدها.

1914م، حسب ما ذكر في جريدة الفاروق التي نشرت تفاصيل تشييع جنازته، ويذكر "دبوز" أن "إبراهيم أطفيش" قد أخبره أن المجاوي قتل مسموما في أواخر 1913م في قسنطينة من طرف الإدارة الاستعمارية التي لجأت إلى تصفية الكثير من الوجوه الإصلاحية الذين خشيت من أن يستغلوا انشغال فرنسا بالحرب العالمية الأولى ويعلنوا الثورة ضدها، ونحن لا نستبعد هذا الرأي، لأن هذه السنة شهدت وفات ثلاثة أقطاب وهم "المجاوي"، و "محمد أطفيش" (1828-1914م)، والأستاذ "السعيد بن زكري" (1815-1914)، والمعروف أن هؤلاء كان لهم نفوذ في أوساط الجماهير الجزائرية، فمثلا سمي شيخ المجاوي بشيخ الجماعة، فقد كان "محمد أطفيش" "العالم القطب" و"الرجل الأمة" على حد وصف "بن قدور"، و "أب النهضة المزائية" كما وصفه "جيلبرت ميني" (Gilbert Meynier)، وكذلك "بن زكري" الذي كان حسب "ميني" دائما "أحدث ثورة في الفكر الإصلاحي الجزائري من خلال كتابه "أوضح الدلائل في إصلاح الزوايا في بلاد القبائل" ويشير المؤرخ الأمريكي آلان كريستلو (Allan Christelow) إلى وفاة المجاوي التي حددها بسنة 1913م، وقال بأنها كانت غامضة، وموازية حسب تعبيره لوفاة "ابن باديس" سنة 1940م، وكأنه يريد أن يقول بأن الإدارة الاستعمارية قبل الحرب العالمية الأولى والثانية صفت كل من يمكن أن يشكل عليها خطراً في الجزائر¹.

إلى جانب هذا فقد جندت إدارة الاحتلال إمكانيات كبيرة لمراقبة المنشورات والرسائل خاصة رسائل المجندين في الجيش الفرنسي، فاستحدثت فرنسا مصلحة مختصة في مراقبة المراسلات المتبادلة بين المسلمين الجزائريين وذويهم في الخارج، وهذا ما أكدته الجنرال "مواني" Moinier، وهو القائد الأعلى للقوات المسلحة البرية والبحرية في شمال إفريقيا، ففي رسالة له، مؤرخة في 11 فيفري 1914م، وجهها للقادة العسكريين في الأغواط وبسكرة وورقلة، مذكرا إياهم بأنه توجد مصلحة ضخمة مختصة في مراقبة الرسائل، وحثهم على ضرورة أن يتحلون بالصرامة في مراقبة هذه الرسائل، خاصة الرسائل الموجهة للجالية المقيمة في ألمانيا والنمسا وتركيا. ولتشديد الرقابة أكثر انشأت فرنسا في فيفري 1915م بريدًا عسكريا في مدينة "نيم" الفرنسية، كان تابعا لوزارة الحربية مباشرة، يسمى "مركز مراقبة البريد العسكري Control postal militaire" مهمته مراقبة مراسلات الجنود المسلمين. وفي 11 جانفي 1915م وجه الحاكم العام السيد "ليتو" رسالة إلى والي الجزائر وهران وقسنطينة بأن يكونوا صارمين في مراقبة مراسلات المجندين، لأنه تأكد بنفسه وصول رسائل من جنود أسرى عند الألمان، فهؤلاء، حسب ما ذكره يشكلون تحديا حقيقيا لفرنسا. وعلى ضوء تلك التعليمات تم إنشاء مراكز مراقبة جديدة سنة 1915م في كل من: بوردو، ليون، مارسيليا، الجزائر، وهران، وتونس². ومن نماذج الرسائل المحجوزة، رسالة المدعو "أحمد بن الحاج" القادمة من جهة باتنة الموجهة إلى المدعو "محمد بن إبراهيم

¹ - للمزيد انظر: - دبوز، المصدر السابق، ج1، ص 105. وكذلك: الفاروق، ع 55، 6 أبريل 1914م/ ع 57، 20 أبريل 1914م/ ع 81، 9 أكتوبر 1914م. وكذلك:

-Meynier, op-cit, pp. 246- 247.

- Allan Christelow, Muslim law courts and French colonial stat in Algeria, princeton university press, princeton Newjersey, 1985, p.259.

² - الصادق دهاش، "مراقبة وحجز مراسلات المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي بين 1914 - 1930م"، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد 10، ع 04، جامعة الجلفة، 4 ديسمبر 2018م، ص ص 259 - 260.

بن الحاج عبد القادر" جاء فيها: "... أمّاه كم هي مؤلمة تلك السنة التي قام فيها الفرنسيون ببيعنا لألمانيا ... لقد قاموا بأخذنا جميعاً كباراً وصغاراً، ولم يترك في البيوت إلا النساء ... للأسف أين هو شباي ... حياتي قد دمرت ... قيل لي أن العالم قد انتهى..."¹. ورسالة أخرى وجهها جزائري إلى أحد إخوانه أكد له فيها على ضرورة إيجاد بديل لأخيه الذي تمّ تخنيده حديثاً، لأن ظروف الجنود في الجيش الفرنسي قاسية ومتعبة جداً². ومن مظاهر الرقابة الصارمة التفتيش والمداهمات، وفرض رقابة خاصة على العائلات ذات الجذور التركية الموجودة في مدينة الجزائر ومستغانم وتلمسان، وذلك لمنعهم من القيام بالدعاية لصالح تركيا. ومن نماذج المداهمات، مداهمة شقة سنة 1915م كان يعتقد أنها معدة لتدخين الكيف، ليتضح فيما بعد أنها كانت تستعمل كمحل لاجتماعات الموالين لتركيا، حيث علّقت على جدرانها رسوماً لكل من أنور باشا ومحمود شوكت باشا³.

2.5. الدعاية المضادة:

إلى جانب القمع، وتضييق الخناق، انتهجت الإدارة الاستعمارية في الجزائر دعاية مضادة، تحاول من خلالها تفنيد الدعاية الألمانية- العثمانية، ولأجل ذلك أنشأ الحاكم العام "لوتو" في أوت 1914م جريدة باللغة العربية اسمها "أخبار الحرب" (Akhbar El Harb)، وهي جريدة أسبوعية اهتمت بأخبار الحرب، أسندت إدارتها إلى المستشرق الفرنسي المترجم "جان ميرانت" (J. Mirante)، وهي حسب "أجرون" "لم تعرف إقبالا كبيراً". في حين أنها كانت حسب ما صرح به الحاكم العام "لوتو" يوم 13 نوفمبر 1918م بمثابة "صمام الأمان الذي عولت عليه الدولة الفرنسية في التصدي لكل مخاطر العدو الدعائية بكل حزم لدفع حملته المبنية على الأكاذيب، وإليها يرجع الفضل الكبير في كل دعم مادي ومعنوي ظفرت به فرنسا وحلفائها خلال الحرب. إذ ساهمت على المستوى المحلي بالجزائر في ضبط النظام العام بالبلاد وتشجيع الشبان على التطوع في الجيش وذلك بتذكيرهم دون انقطاع بالواجب المؤكد على كل المسلمين اتجاه وطنهم الأم"⁴.

لم تكتف إدارة الاحتلال بجريدة "أخبار الحرب" بل استحدثت نشرية دعائية أخرى وهي "النشرة العربية" (Bulletin Arabe) كانت توزع على الأعيان والمتعلمين وعلى المستشارين البلديين وعلى موظفي المحاكم والمساجد والطلبة، كما تم تعليق عدة نسخ على مداخل الإدارات والبلديات والمقاهي والأوسواق⁵. وإلى جانب الجرائد والنشريات المختصة في الدعاية، استغلت الحكومة العامة في الجزائر الجريدة الرسمية "المبشر" التي كان لها دور كبير في الدعاية، وهذا حسب ما أكدته "لجنة الشؤون الإسلامية" في اجتماعها المنعقد يوم 14 نوفمبر 1914م، إذ نوه عدد من أعضائها بالدور الدعائي الهام الذي كانت تقوم به "المبشر" بين صفوف المسلمين، وطالبوا بضرورة إرسال عدد من النسخ إلى وزارة المستعمرات لتوزيعها على كل الأقطار حيث يتواجد

¹ - خالد الفرجاني، "فرض فرنسا لرقابة صارمة على بلدان المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى"، مجلة القرطاس"، ع10، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، نوفمبر 2018م، ص 85.

² - نفسه.

³ - الفرجاني، المرجع السابق، ص 82.

⁴ - المانع، المرجع السابق، ص 189.

⁵ - نفسه، ص 191.

المسلمون"¹. والمطالع لأعداد "المبشر" سنوات الحرب يلاحظ خطابات السياسيين والعسكريين المستعطفة للمسلمين، مثل البيان الذي نشره الحاكم العام، بعد عملية قصف البارجتين الألمانيتين لمناء عنابة وسكيكدة، ذكر فيه: أن ألمانيا البربرية هاجمت المدينتين الآمنتين لأنها تغار من فرنسا ومن إخلاص الأهالي لها، ثم دعاهم إلى ضرورة التضامن والولاء إلى الوطن الأم، لأن أجداد الجزائريين ماتوا وسواعدهم معلقة بسواعد أبناء فرنسا الحرة التي سقيت بدمايهم مجتمعة، وصاغ قول نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يحب المخادعين والخونة"، ثم ختم يقول: "...فأنتم أيها الجزائريون ستحصلون على خير ونعيم وفوائد جمة بعد أن يتم النصر الأكيد لفرنسا الحرة على ألمانيا البربرية"². وإلى جانب ذلك فقد كان الحاكم العام متسامحا في دخول بعض الصحف المصرية، خاصة التي تحتوي على تعاليق ضد الأتراك، وتعمل على تأليب الرأي العام الإسلامي ضدهم. أما المادة التي كانت تروجها صحف ونشريات الدعاية الفرنسية، فتتمحور حول التغني ببطولات الجيش الفرنسي والانتصارات التي حققها ضد ألمانيا، ومحاولة إظهار اهتمام فرنسا بالجنود المسلمين خاصة الأوفياء لها الذين لم تغريهم عروض الألمان والأتراك، وهذا ما ترجمه خطاب "لوتو" الذي نشر في صحف تلك الفترة، حيث قال: "... لن ننسى وفاء 3000 أسير في معسكر Zossen. نعيد لذاكرة البعض ما قاله بعض الأسرى للشيخ صالح شريف، إننا فرنسيون، وسنبقى فرنسيين والولد لا يقتل أمه..."³.

كما شجعت سلطات الاحتلال الشعراء والقوالة الذين يجوبون الأسواق يتغنون بفضائل فرنسا على المسلمين!، ويتغنون كذلك ببطولاتها في شكل ملحمة، مثل المدعو، ثابتي مصطفى ولد قدور "أحد المجندين في الجيش الفرنسي منذ 1914م الذي ألف قصيدة ملحمة، ترجمها إلى الفرنسية الأستاذ "صوالح" سنة 1916 ونشرها في المجلة الإفريقية سنة 1919م، يصور فيها بسالة كل من الفرنسيين والعرب ويتوعد ألمانيا بالهزيمة النكراء، ويصف الترك بالأعداء الذين باعوا شرفهم للكافر (ألمانيا)⁴. ومن بين الأناشيد التي روجت في تلك الفترة، وما أنشدته "الحاج محمد الجبلي" المفتي المالكي بعنابة يقول:

أيتهى الدولة السعيدة لازالت أعمالك

سديدة وجيوشك عديدة وحصونك

منبعة على الأعداء الشديدة وأيامك

مديدة وألويتك على العالم خافقة

وعيون معارضك دافعة ولا زالت

ناصرة للتمدن والإنسانية⁵

¹ - نفسه، ص 188.

² - محمد الصالح بجاوي، "متعاونون ومجنودون جزائريون في الجيش الفرنسي 1830-1918، دار القصة، الجزائر، 2009م، ص 415.

³ - أجرون، الجزائر المسلمون وفرنسا...، ص 853.

⁴ - Tabti Mostpha Ould Kaddour, « Nos Troupes d' Afrique et L'Allemagne » In : R. A, N 60, Algérie, 1919, p. 75.

⁵ - المانع، المرجع السابق، ص 205

3.5. الإصلاحات الشكلية وسياسة ذر الرماد في الأعين:

لجأت إدارة الاحتلال إلى سياسة الإغراء بهدف تشجيع تجنيد المسلمين في صفوف قواتها وضمّان ولائهم لها، إذ اقترحت "وزارة الحرب" منح الجنود الجزائريين صفة المواطنة الفرنسية دون بلوغ السن القانونية. وقد سجل هذه القضية كاتب الدولة للشؤون الخارجية "أبل فيري" (Abel Ferry) الذي ترأس اللجنة الوزارية المشتركة لشؤون المسلمين في جدول الأعمال بتاريخ 31 ديسمبر 1914م، منوهاً في نفس الوقت بالتضحيات الجسام التي قدّمها الجنود الجزائريون في سبيل فرنسا، ومعتبراً أن ذلك دينا يقع على فرنسا¹. لم تكتف إدارة الاحتلال بذلك فقط بل أصدر الحاكم العام قراراً آخر في 3 جانفي 1915م بموجبه يعني كل الأهالي الجزائريين المجندين في الجيش الفرنسي وذويهم من قانون الأهالي، كما قام السيد "جورج كليمنصو" (رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ)، والسيد "جورج ليق" بتوجيه رسالة إلى رئيس مجلس الوزراء "أريس بريان" تتضمن مجموعة من المطالب والمقترحات بهدف إصلاح وتحسين الحالة الاجتماعية والسياسية للجزائريين، والمتمثلة في: - تجنيس الأهالي بغض النظر عن الأحوال الشخصية الإسلامية. - توسيع الدائرة الانتخابية بالنسبة للأهالي ومنحهم حرية التعبير والانتخاب. - تمثيل الأهالي في مجلس أعلى بباريس تمثيلاً مباشراً يساهم في تحسين الرقابة الإدارية والسياسية للجزائر. - تحسين تمثيل الأهالي في الوفود المالية، وفي المجالس البلدية والعامّة وتخصيص اعتمادات مالية إضافية. - مشاركة المجالس البلدية الخاصة بالأهالي في انتخاب رئيس البلدية. - مراجعة الضرائب الخاصة بالأهالي. وقد أجابها مجلس الوزراء في 5 ديسمبر 1915م، ووعد بأن الحكومة توافقهما في ذلك، وأن وزير الداخلية سيعمل على تنفيذ كل المقترحات². وعلى إثر ثورة "الأوراس" التي حاولت ألمانيا أن تستغلها لصالح برنامجها الدعائي، أعلن الوالي العام "لوتو" أنه سيصلح إقليم الأوراس ببرنامج سياحي وتربوي، يأمل من خلاله على القضاء على ما حاولت الصحافة الألمانية ترويجه بأن "منطقة الأوراس ليست تحت السلطة الفرنسية"، مبرراً عمله بالنقاط التالية: - أن ذلك الإقليم كان مهملاً من فرنسا. - أن ألمانيا قد اختارته لتفجير ثورة عامة. - إقليم الأوراس لم يخضع لأي قوة محتلة من قبل³.

4.5. السياسة الفرنسية الإسلامية وتوظيف الإسلام ورموزه:

يبدو أن محاولة توظيف فرنسا للإسلام من أجل تحقيق أهدافها الاستعمارية في إطار ما يسمى "بالسياسة الإسلامية" لم يكن وليد فترة الحرب العالمية الأولى، بل كان قبل ذلك، وأصبح أكثر وضوحاً مع مطلع القرن العشرين خاصة بعد ظهور تيار أصدقاء الأهالي أو محبي العرب (Les Arabophiles)⁴ ومن بين هؤلاء النائب ورجل الاقتصاد "شارل جيد" (Ch. Gide) الذي أسس سنة 1913م مجلة أسبوعية، أطلق عليها اسم "فرنسا الإسلامية"⁵. فاسم الجريدة الذي يوحي إلى برنامجها كان كفيل لفرنسا حتى

¹ - أجرون، المسلمون الجزائريون وفرنسا، ص 853.

² - بالحاج، المرجع السابق، ص 13.

³ - سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 252. وكذلك:

- Charles Lutaud, In : Bulletin du comité de L'Afrique Française, avril 1917, pp.147-148.

⁴ - للمزيد حولهم راجع: مولود قرين، "أضواء على أفكار بعض أصدقاء الأهالي ونظرتهم إلى المشكلة الجزائرية أواخر القرن 19 ومطلع القرن 20م"، حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 07، المدرسة العليا للأساتذة، 2018م، ص 6 وما بعدها.

⁵ - جاك فريمو، فرنسا والإسلام من نابليون إلى ميثران، ترجمة: هاشم صالح، ط1، دار قرطبة للنشر والتوثيق، الأردن، 1991م، ص 131-132.

تستغلها لمقاومة دعاية الجامعة الإسلامية، ولتحضير الجزائريين لإمكانية حرب أوروبية بدأت ملامحها تظهر في الأفق¹. وعند اندلاع الحرب لم تجد فرنسا بدا في توظيف الإسلام واستغلال مشاعر المسلمين، ويظهر هذا بشكل جلي في خطابات السياسيين والعسكريين الموجهة إلى المسلمين، كما رأينا سابقاً مع الحاكم العام الذي جاء بحديث ونسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ووصفه للدعاية الألمانية والعثمانية بأنها فخر قد نصّب للإسلام².

لم تكن إدارة الاحتلال الفرنسي بالخطابات فقط بل حاولت أن تكون عملية في تطبيق سياسة إسلامية مناوئة للسياسة الإسلامية الألمانية والدعاية العثمانية. إذ بادر مجموعة من المثقفين الفرنسيين خاصة إلى تأسيس العديد من الجمعيات المحبة للمسلمين، مثل "جمعية المحبة الإسلامية" (Les Amitiés musulmanes) التي تأسست في فيفري 1915م في باريس برئاسة النائب البرلماني "موريس رينو" (R. Maurice) وكانت تهدف إلى توثيق وتدعيم علاقات فرنسا بالإسلام، وأنشأت مستشفى ملحقا بها للجنود المسلمين، وأصدرت جريدة نصف شهرية، صدر عددها الأول في 15 ديسمبر 1915 باللغتين العربية والفرنسية³. وكذلك جمعية "التضامن الفرنسي - الإسلامي" (La Solidarité Franco-musulmane) تأسست يوم 19 أبريل 1919م. كانت تهدف، حسب ما جاء في قانونها الأساسي، إلى إيجاد علاقات جديدة بين فرنسا ومسلمي مستعمراتها، قوامها الود والثقة المتبادلين، بالإضافة إلى العناية المعنوية والمادية بالمجندين والعمال الأهالي وعائلاتهم⁴. وقد أثار مسجد معتقل "زوسن الألماني" (الهلال) ردود أفعال الكثير من الفرنسيين الذين ألحوا على ضرورة بناء مسجد مماثل للمجندين المسلمين، وفعلا تم بناء مسجد "نوجون-سور-مارن"، الذي تم افتتاحه يوم 14 أبريل 1916م، فتزامن ذلك مع المولد النبوي الشريف، فاستغلت فرنسا الحدث، وروجت له عبر الصحافة وحاولت أن تظهر نفسها بمظهر المحب والمحترم للإسلام والمسلمين⁵.

ذهب فرنسا في إطار سياستها الإسلامية إلى أبعد من ذلك، حينما طرح المقيم العام في المغرب "ليوتي" مشروع تأسيس "خلافة إسلامية مغربية" انطلاقاً من المغرب الأقصى، وذلك نتيجة قناعته المطلقة بالفكرة الاستعمارية القائلة: "لا وجود لمسلم في الجزائر وتونس لولا مكة والقسطنطينية". وكان يعتقد أن المغرب يتوفر على كل المؤهلات خاصة الدينية لتزعم خلافة مغربية. كما أنه ألح على ضرورة قطع الصلة بمكة عن طريق الحج، وانتقد بشدة تدعيم فرنسا "لشريف حسين" في البلاد العربية، لأن مشروع "شريف حسين" طبخته السياسة البريطانية، ويجب حسبه أن تنفرد فرنسا بسياسة خاصة بها، فإعلان عن خلافة مغربية يمكنه أن يؤسس لموقف رافض للخلافة العثمانية ومنافستها في مكة كذلك. لقي المشروع رفضاً مطلقاً من طرف الكثير من منظري الاستعمار فأروه مشروعاً غريباً، كما أنهم أبدوا خشيتهم من سلطان المغرب، وتساءلوا: "ألا يمكن أن تراود سلطان المغرب في يوم ما فكرة استعمال سلطته الروحية ضد فرنسا بعد أن ساعدناه على بسط هذه السلطة؟" لا يجب التفكير بهذا الخطر عندما يأتي يوم تجبرون فيه على

¹ - سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص 248.

² - للاطلاع على نص الخطاب كاملاً، انظر: المبشر، 08 أوت 1914م.

³ - التليلي، المعهد الإسلامي وجامع باريس، السياسة الإسلامية لفرنسا اللائكية 1920 - 1939م، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2016م، ص 90.

⁴ - نفسه، ص ص 90-91.

⁵ - نفسه، ص 63.

تسليم الحاكمية العامة إلى أيدي ليست أهلاً لذلك". لذلك وجدت الادارة الاستعمارية أن الحل الأنسب لزعة التأثير العثماني وإضعافه يتمثل في مساعدة "الشريف حسين"، فكلف "ليوتي" من جديد للعمل على دعم الشريف حسين، فاستعان المقيم العام بشيخ الطريقة التيجانية في طنجة الذي أصدر فتوي تنص عدم شرعية العثمانيين في الخلافة، والأجدر بها هو شريف حسين¹. وأرسلت الإدارة الاستعمارية وفداً إلى الحجاز، كان من بين أعضائه "قدور بن غبريط" (1868-1954م)²، وقد شكلت مسألة الحج القضية الأساس في اهتمامات البعثة، فحاولت فرنسا من خلالها أن تبرهن للرأي العام الإسلامي أن لديها القدرة لتأمين الوصول إلى الأراضي المقدسة من جهة، وأنها تحترم الدين الإسلامي من جهة أخرى. وفي نفس الوقت كان قد قرر المجلس الوطني الفرنسي، أن تبني فرنسا دار للاستقبال في مكة للحجاج الجزائريين، اسمها "دار الضيوف"، وقد أعلنت الإدارة الفرنسية أن هدفها هو "حماية الجزائريين من دعاية العملاء الألمان والأتراك"³. وإلى جانب استغلال الإسلام وشعائره لجأت فرنسا إلى توظيف رموزه من الأئمة والعلماء الرسميين ورجال الطرق الصوفية، ففي 27 أبريل 1914م أصدر وزير الحرب الفرنسي قراراً لاستقدام أئمة إلى فرنسا، لذلك قامت السلطات الفرنسية بتوجيه سبعة أئمة إلى الحكومة العسكرية بباريس والفيالق: الرابع، والخامس عشر، والسادس عشر، والسابع عشر أين يوجد المسلمون المعالجون بالمستشفيات، وكان من بين الذين اختارهم الحاكم العام في الجزائر: "بومزراق الوانوغني المقراني" ابن أحد أبرز قيادي انتفاضة 1871م ومفتي الأصنام ومدرّسها، و"عبد الرحمن القطراني" الذي كان يشغل بمحكمة مدينة الجزائر، وللإشارة فإن الشيخ "الوانوغني" تسلم إمامة مسجد "نوجون" أو "مسجد البستان الاستعماري" في أبريل 1916م، واستغل منبره للدعاية بالنصر لفرنسا، كما استعمل للرد على كتاب الفار من الجيش الفرنسي "بوكابوية" وألف كتيباً يفند فيه أقوله، وجاء الكتاب باللغة الفرنسية تحت عنوان: (L'Islam dans L'Armée Française, Réplique des mensonges) "الإسلام في الجيش الفرنسي"، وجاء باللغة العربية تحت عنوان: "القول الناصح في مجادلة الخائن الكاشع". ونظراً لاستعداده للدعاية الفرنسية فإنه جاب الكثير من المناطق الجزائرية يدعوا فيها الشباب للانخراط في الجيش الفرنسي⁴. كما أنشأ رفقة أعيان مدينة الأصنام "جمعية إغاثة عائلات المحاربين"، وكان هدفها مساعدة العائلات التي جند أبناءها

¹ - صادق سلاّم، فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية 1895-2005م، ترجمة زهيدة درويش جبور، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010م، ص ص 193 - 194.

² - قدور بن غبريط: أصله من تلمسان، ولد في سيدي بلعباس، تعلم في المدرسة الثعالبية بمدينة الجزائر، ثم بجامع القرووين بفاس، اشتغل في مجال الحمامة، عين مترجماً مساعداً في مفوضية فرنسا بطنجة، ولعب دوراً كبيراً في صياغة بنود الحماية على المغرب سنة 1912م، كان عضواً في بعثة الحج التي أرسلتها فرنسا إلى الحجاز سنة 1916م، رئيس أوقاف الحرمين الشريفين والأماكن المقدسة الإسلامية سنة 1917م، كان المحرك الرئيسي لمشروع إقامة مسجد ومعهد باريس، عين وزير فرنسي شرقي، ضابط جوقة الشرف، ساهم في انقاذ حياة مئات اليهود خلال الحرب العالمية الثانية عندما أوامهم داخل مسجد باريس، انظر: ترجمته في الملف الأرشيفي على مستوى "الأرشيف الديبلوماسي" في باريس:

- Archives Diplomatique de Paris, m.f, N°20155, 18-05-1935, pp. 123-125.

³ - سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص 254.

⁴ - التليلي، المعهد الإسلامي، ص 60.

في الجيش الفرنسي¹. كما استعانت بالمفتين الرسميين من المالكية والحنفية لما لهم من نفوذ روحي في أوساط المسلمين الجزائريين، مثل مفتي المالكية في قسنطينة "المولود بن الموهوب"²، الذي كتب وصية للمسلمين الجزائريين رفقة مفتي الحنفية "عبد الكريم باشتارزي" وبعض أعيان قسنطينة، نشرت في "مجلة العالم الإسلامي" سنة 1914م، حذر فيها مسلمي الجزائر من سياسة الإمبراطور الألماني ومن دعايته الكاذبة، واستغلاله للدولة العثمانية بهدف حماية ظهره واستمالة المسلمين إلى صفه، ومما جاء في هذه الوصية: "يا مسلمون لا يخفى عليكم أن أغراض إمبراطور الألمان القبيحة وسياسته العوجاء صيرت هذا العام أنحس الأعوام وأيامه أقبح الأيام ... ولم يكن في قلب هذا الإمبراطور ولا قطرة من الرحمة ولو كان ذلك فيه لا أشفق على بني الإنسان والإنسانية..."³. وتضمنت الوصية تذكير المسلمين بأن "الدولة الفرنسية حبيبة الإسلام والمسلمين، وأن الاتصال لا يزيد بينها وبينهم إلا وثاقاً"⁴. كما أن مفتي المالكية والحنفية في مدينة الجزائر حاولا أن يبعدوا الجزائريين عن دعاية العثمانيين، لأن الدولة العثمانية في نظرهما وقعت ضحية لدسائس الألمان، ومما جاء في وصيتهما: "إن شيطان الألمان بما له من الزور والبهتان، قد وسوس للدولة العثمانية وأضلها وأغواها وأعمأها بمكائده وأوقعها في حباله ومصائده حتى مكرت مكر الكبار وأعلت الحرب جهارا على الدول العظام فرنسا وروسيا وإنجلترا، فقد جاءها الغرور فأضرت نفسها وأهلكت جنسها..."⁵. وعلى الجزائريين وفق ما جاء في الوصية أن يهتموا بأمورهم الدينية والدنيوية ولا يكتثروا بالسياسة "بل يجب عليهم العمل الصالح بما يعود عليهم بالنفع العام لأنفسهم ووطنهم، وهو ما لا يدركونه إلا بالاعتماد على دولتهم الفرنسية الشهيرة بالشجاعة والقوة والبسالة والإحسان والعدل..."⁶. وإلى جانب الأئمة والمفتين فإن فرنسا استعانت بشيوخ الطرق الصوفية، مثل شيخ الطريقة التيجانية في عين ماضي "علي بن أحمد التيجاني" الذي توجه بنداء إلى المسلمين تحت عنوان عريض: "أتروا الترك ما تركوكم"، وأهم ما ورد في البيان الخطأ الجسيم الذي ارتكبه العثمانيون بالتحالف مع ألمانيا الممجيعة و "مخرية الحضارة"، ثم حاول في ندائه أن يسود مرحلة حكم العثمانيين في الجزائر قائلا: "... فلا يغرب عليكم أيها الأحباب ما فعله الترك في الجزائر وقت استلائهم عليه، فقد أضروا البلاد والعباد، وارتكبوا فيها جميع الفواحش، ولم يحترموا الدين ولا الشرع الإسلامي، ولا عوائد الأهالي، وتركوا الناس فوضى يحارب بعضهم بعضا..."⁷. أما الشيخ "سيدي محمد العروسي" شيخ التيجانية بزاوية "قمار"، فأبدا استعداد المسلمين للوقوف إلى جانب فرنسا، حيث قال: "أما نحن المسلمون فلا

¹ - فارس كعوان، "مفتي الشلف الوانوعي يومزراق المقراني 1867-1948: سيرته ومواقفه من خلال مراسلاته والمصادر المعاصرة له"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية، المجلد 33، ع 03، قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2019م، ص 576.

² - المولود بن الموهوب: بن الموهوب: هو محمد المولود بن الموهوب، ولد في قسنطينة، ومن أهم أعماله تأسيس نادي "صالح باي" حيث يلقي المحاضرات الثقافية، كان في نفس الوقت يلقي دروس الوعظ والإرشاد في "الجامع الأخضر"، عينته الإدارة الفرنسية سنة 1895م أستاذا للدراسات الإسلامية "بسيدي الكتاني" بقسنطينة، وفي سنة 1908م عينته مفتي المذهب المالكي بنفس المدينة، وقد ساهم بن الموهوب بشعره وكتاباتاته الصحفية وبتدريسه العلمية مساهمة كبيرة في البقطة الجزائرية للمزيد انظر:- سعد الله، الحركة الوطنية، ج 2، ط 4، ص ص 155-157.

³ - Revue du monde musulman, T29, 1914, p. 180.

⁴ - Ibid, p. 184.

⁵ - Ibid, p. 176.

⁶ - Ibid, p. 178.

⁷ - Ibid, p. 190.

نفرط في محبة دولتنا فرنسا الفخيمة ولا في إعانتها، فإن أولادنا داخلون في جيوشها يقاتلون العدو مع إخوانهم الفرنسيين ونحن مستعدون برجالنا وأموالنا وكل عزيز لدينا للزحف على العدو...¹. أما شيخ الطريقة الرحمانية بزاوية الهامل "المختار بن الحاج محمد" فإنه اعتبر الحرب فرصة ثمينة لكي نبدي محبتنا وصادقتنا لفرنسا، "ونعينا بقصارى الجهد على أعدائها فإنها تسالنا كما هو مقرر في الأذهان مزايا لا تحصى"².

يبدو أن المقام لا يسعنا لنشر كل وصايا شيوخ الزوايا في الجزائر التي حرصت مجلة العالم الإسلامي على نشرها سنة 1914م في جزئها التاسع والعشرين، غير أن السمة البارزة في هذه النداءات والوصايا هي وصف ألمانيا بأقبح الصفات، والتأكيد بأن العثمانيين قد اتخذوا بالدعاية الألمانية، كما تضمنت وصايا هؤلاء الشيوخ الدعوة إلى الوقوف إلى جانب فرنسا في حربها مذكرين بمزايا حكمها في الجزائر ! .

6. خاتمة:

مما تقدم نستنتج أن الدعاية كانت من أهم الأسلحة خلال الحرب العالمية الأولى، وقد كانت الجزائر مسرحاً لدعاية كل الأطراف، سواء الألمانية - التركية أو الفرنسية. ولعل ما ساهم في جعل الجزائر مسرحاً لدعاية واسعة النطاق، وهو علاقة الجزائريين التاريخية والدينية بالدولة العثمانية، إذا كانت الدولة العثمانية في منظور الجزائريين تحضي بالشرعية الدينية ورمزية الخلافة الإسلامية، وهو الوتر الذي حاولت ألمانيا أن تستغله لصالحها. هذا ما أدركته إدارة الاحتلال في وقت مبكر لذلك بادرت إلى التصدي لهذه الدعاية، مسخرة كل الأجهزة العسكرية والإعلامية والسياسية. وقد لا حظنا أنها كانت قد غالت كثيراً في التعامل مع ملف الدعاية الألمانية العثمانية، فكانت كل حركة تنسبها وتربطها بالدعاية. والدارس للدعاية الفرنسية يلاحظ ازدواجيتها التي تراوحت بين القمع وتكسيم الأفواه من جهة والإغراء ومحاولة شراء الذمم من جهة أخرى. فعطلت كثير الصحف، وزجت بمعارضيتها في غياهب السجون، ووعدت بمجموعة من الإصلاحات غير أنها بقت مجرد حبر على ورق. ولعل أخطر وسيلة وظفتها هي لجوئها إلى الإسلام أو ما يعرف بالسياسة الإسلامية، فورطت الكثير من المفتيين والأئمة وشيوخ الزوايا فأصبحوا من دعاة مساندة فرنسا في حربها ضد ألمانيا وتركيا.

¹ Ibid, p. 214.

² - Ibid, p. 214.

7. قائمة المراجع:

الأرشيف:

- A. N. O. M, 9 H/ 5.
- A. N. T, Série E, carton 550, Dossier 30/15- 1914.
- Archives Diplomatique de Paris, m.f, N°20155, 18-05-1935 .
- Associations Cultuelles musulmanes; in: A.N.A; IBA/CUL-018; N° 0881.

الدوريات والجرائد:

- جريدة الجهاد، ع1، 5 مارس 1915م.
- جريدة الفاروق، ع 55، 6 أبريل 1914م/ ع 57، 20 أبريل 1914م/ ع 81، 9 أكتوبر 1914م/ ع 77، 11 سبتمبر 1914م / ع 92، 25 ديسمبر 1914م.
- جريدة المبشر، 08 أوت 1914م.
- Bulletin du comité de L'Afrique Française, avril 1917.
- Revue du monde musulman, T29, 1914.

المؤلفات:

- أجرون شارل رويبر، الجزائريون المسلمون وفرنسا، ترجمة: م. حاج مسعود، ع. بلعربي، ج2، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007م.
- أجرون شارل رويبر، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: محمد حمداوي، إبراهيم صحراوي، دار الأمة، الجزائر، 2013م.
- بجاوي محمد، متعاونون ومجنونون جزائريون في الجيش الفرنسي 1830-1918، دار القصة، الجزائر، 2009م.
- بلقاسم محمد، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا، الاتجاه الوجداني في المغرب العربي 1910-1954م، ط1، البصائر الجديدة، الجزائر، 2013.
- بوعزيز يحيى، ثورات القرن العشرين، طبعة خاصة، دار البصائر، 2009.
- دبوز محمد علي، نهضة الجزائر وثورتها المباركة، ج1، ط2، م.ش.ج، الجزائر 2007م.
- جاك فرعمو، فرنسا والإسلام من نابليون إلى ميتران، ترجمة: هاشم صالح، ط1، دار قرطبة للنشر والتوثيق، الأردن، 1991م.
- جلاب الهادي، علي باش حانبة (1876-1918م)، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس 2005م.
- الحادك قاسم، "الدعاية الألمانية في المغرب خلال الحرب العالمية الأولى وردّات الفعل المحلية"، في: مئة عام على الحرب العالمية الأولى، المجلد الثاني، مجتمعات البلدان العربية: الأحوال والتحوّلات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2018م.
- التليلي العجيلي، المعهد الإسلامي وجامع باريس، السياسة الإسلامية لفرنسا اللائكية 1920-1939م، ط1، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، 2016م.
- التليلي العجيلي، السياسة الإسلامية لفرنسا في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ط1، 2018م.
- دراوي أحمد، الجزائر والجامعة الإسلامية 1876-1924م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2007-2008.

- الفرجاني خالد ، الدعاية الفرنسية في المغرب العربي خلال الحرب العالمية الأولى، أطروحة دكتوراة في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2016م.
- قَدَّاش محفوظ ، تاريخ الوطنية الجزائرية 1919-1939م، ج1، ترجمة محمد بن البار، دار الأمة، الجزائر ، 2008م
- قرين مولود، عمر بن قنور الجزائري ودوره في الحركة الوطنية، ج1، مطبعة الخليل العلمية، الجزائر، 2013م.
- سلاّم صادق، فرنسا ومسلموها قرن من السياسة الإسلامية 1895-2005م، ترجمة زهيدة درويش جبور، ط1، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، 2010م.
- سنو عبد سنو، الحركة العربية ودول الاستعمار ومصير الشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى: شكيب أرسلان نموذجاً، في: لبنان في الحرب العالمية الأولى، ج2، منشورات الجامعة اللبنانية، 2011م.
- سعد الله أبو القاسم ، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، طبعة خاصة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015م.
- سنو عبد الرؤوف ، "الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى"، في: بحوث تاريخية مهداة إلى منير إسماعيل، تنسيق محمد مخزوم، أحمد حطيط، بيروت، 2002م.
- ناصر محمد ، عمر راسم المصلح الثائر، دط، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1984م.
- المانع الاحنف ، مجندو المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى ضريبة الدم: التضحية والتمن 1914-1939م ، أطروحة دكتوراة في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منوبة، تونس 2017م.
- مصالي الحاج، مذكرات مصالي الحاج 1889-1938م، ترجمة محمد المعراجي، ANEP، الجزائر 2007م.
- يحيى علاء الدين ، " الأسرى المسلمون في ألمانيا خلال الحرب العالمية الأولى ذلك التاريخ المجهول"، في: مئة عام على الحرب العالمية الأولى، المجلد الثاني، مجتمعات البلدان العربية: الأحوال والتحوّلات، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، 2018م.
- الأجنبية:
- Christelow Allan, Musulim law courts and French colonial stat in Algeria, princeton university press, princeton Newjersey, 1985.
- Bardin Pierre , Algériens et Tunisiens dans L'empire Ottoman de 1848-1914, éd : CNRS, Paris , 1979.
- Etat-major des armées, Service historique, Les armées françaises dans la Grande guerre. T : IX. 9,1, France, 1930-1939.
- Gilbert Meynier , L' Algérie Rèvèlèe-La guerre 1914-1918 et Le premier quart du xx^o siècle ; Librairie Droz, Genève, 1980.
- Lieutenant El Hadj Abdallah, L'Islam dans l'armée Française (Guerre 1914-1915), Constantinople, 1915.
- Jean Mélia, L'Algérie et La Guerre (1914-1918), ED4, Librairis Plon, Paris, 1918.
- Perreau-Pradier Pierre, Besson Maurice, L'Afrique du Nord et la guerre, préf : M. Maginot, Librairie Félix Alcan, Paris 1918.
- Salvador Oberhaus, Deutshe Propaganda im Orient wahrend des Ersten Weltkrieges ,Hausarbeit zur Erlangung des Grades Magister Artium der Philosophischen Fakultat, der Heinrich Heine- Universität Dusseldorf, 2002.

العربية:

- آندة ورنير، "الوطنيون العرب ونشاطهم السياسي والصحفي في ألمانيا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى"، مجلة الأصالة، ع 52، السنة السادسة، الجزائر، ديسمبر 1977م.
- بلحاج ناصر، " دور الدعاية العثمانية - الألمانية في رفض التجنيد الإجباري والدعاية الفرنسية المضادة خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع 03، جامعة غرداية، 2008م.
- دهاش الصادق، "مراقبة وحجز مراسلات المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي بين 1914 - 1930م"، مجلة دراسات وأبحاث، مجلد 10، ع 04، جامعة الجلفة، 4 ديسمبر 2018م.
- الفرغاني خالد، "فرض فرنسا لرقابة صارمة على بلدان المغرب العربي أثناء الحرب العالمية الأولى"، مجلة القرطاس، ع 10، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، نوفمبر 2018م.
- قرين مولود، "أضواء على أفكار بعض أصدقاء الأهالي ونظرتهم إلى المشكلة الجزائرية أواخر القرن 19 ومطلع القرن 20م"، حوليات التاريخ والجغرافيا، ع 07، المدرسة العليا للأساتذة، 2018م.
- سعد الله أبو القاسم، "وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد الملك الجزائري بالمغرب"، المجلة التاريخية المغاربية، ع 1، تونس، 1974م.
- كعوان فارس، "مفتي الشلف الوانوعي بومزراق المقراني 1867-1948: سيرته ومواقفه من خلال مراسلاته والمصادر المعاصرة له"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم إنسانية، المجلد 33، ع 03، قسنطينة، الجزائر، ديسمبر 2019م.

الفرنسية:

- J. Desparment, « Les chansons d'Alger pendant la Grand Guerre », In : R. A, N 73, Algérie, 1932.
- J. Desparmet, « Quelques échos de la propagande allemande a'Alger », Bulletin de la Société de géographie d'Alger et de l'Afrique du Nord, T : 10, Paris, 1915.
- Tabti Mostpha Ould Kaddour, « Nos Troupes d' Afrique et L'Allemagne » In : R. A, N 60, Algérie, 1919.

● المداخلات:

- رغداء زيدان، "الثائر على العصر وأهله عمر راسم"، في أعمال الملتقى الوطني الأول عمر راسم الفتان والخطاط المزخرف والمصلح الثائر، قصر الثقافة، الجزائر، 14-15 فيفري 2009م، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط الجزائر إلى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر 2، 2009.